الحياة الثقافية والاجتماعية في بلاد الشام إبان حكم الشيخ ظاهر العمر الزيداني٦٨٩م/١٧٧٥م

إعداد الدكتور

محمد نجيب تركي الدرابسة

جامعة البلقاء التطبيقية

كلية توليدو

المقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الحركة الثقافية والاجتماعية في بلاد الشام إبان حكم الشيخ ظاهر العمر الزيداني، والذي يعتبر من قبل الباحثين والمؤرخين من الشخصيات المهمة في تاريخنا العربي الحديث وذلك للدور البارز الذي اضطلع به خلال مدة حكمه من سنة ١٦٨٩ – ١٧٧٥م ومن خلال هذه المرحلة استطاع أن يمد حدود إماراته من لبنان إلى فلسطين والأردن وحتى أبواب دمشق مما دفع بالعثمانيين إلى الاعتراف به وتعيينه والياً على هذه المناطق الواسعة من صفد إلى عكا إلى شرق الأردن ولبنان وقد عمل العثمانيون خلال هذه الفترة على إرسال الحملات العسكرية المستمرة للقضاء عليه ولكن دون جدوى ما دفع العثمانيين الى الاعتراف به ومن هنا عزى بعض المؤرخين ذلك إلى تعاظم دوره السياسي والعسكري والثقافي وقد بدا تأثيره على الحركة الثقافية والاجتماعية يظهر منذ بداية إدارة حكمه حيث ساهم فى تطوير هذه الحركة الثقافيه وذلك من خلال إنشاء المدارس والكليات والمساجد والمكتبات وتشجيعه للعلم والعلماء كما عمل على توفير المناخ الملائم لهذه الحركة كما استطاع توفير النفقات والمباني المعماريه لهذه المنشآت التعليمية رغم الظروف السياسية والاجتماعية والعسكرية التي كانت دولته تمر بها وبالرغم من ذلك ورغم التحديات التي كانت تجابه وتعيق تطور الحركة الثقافية والاجتماعية في الإمارة إلى أن هذه

الحركة انتعشت ونمت وتطورت وعلى سبيل المثال ساهمت المذاهب الدينية المختلفة التي كانت موجودة في إماراته في نمو الحركة الثقافية والاجتماعية علماً بأنه استطاع أن يلحق بالعثمانيين الهزائم العسكرية المتكررة.

وإذا كان لهذا البحث أهمية تذكر فقد اكتسبها من كونه وحسب علم الباحث أنه البحث الأول الذي يتحدث أو يوضح ما يمكن توضيحه عن جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية في الإمارة.

اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر الهامة ذات الشأن المباشر لسير تلك الأحداث ومن هذه المصادر (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) لمحمد بن خليل المرادي، (وتراجم القدس في القرن الثاني عشر الهجري) لمؤلفه حسين بن عبد اللطيف الحسيني. و(بدائع الزهور في وقائع الدهور)، لمحمد بن أحمد بن إياس. (وتاريخ الشام) لميخائيل بريك تحقيق أحمد سباتو (وحوادث دمشق اليومية) لأحمد حلاق البد يري (وأخبار الأعيان في جبل لبنان) طنوس الشدياق و(تاريخ الشيخ ظاهر عمر الزيداني) حاكم عكا وبلاد صفد ميخائيل الصباغ.

فضلاً عن ذلك كان هناك كتب للرحالة الأوروبيين الذين زاروا المنطقة من خلال حكم الشيخ الظاهر عمر الزيداني حيث أمدونا بمعلومات وافية ومفصله عن الحياة الثقافية والاجتماعية للدولة الزيدانية والتي استفاد منها فيما بعد الأوروبيين ومن هؤلاء

دي فولني الفرنسي وجيمس بـــراون وبوليـــاك و أورئيـــل هيـــد وهولـــت ولوز جنان وغيرهم.

وهذه المعلومات التي انعكســت ســلباً علــى المنطقــة مــن خــلال التاسع عشر والعشرين الميلاديين إضافة إلى ذلــك هنــاك مجموعــة مــن المصادر التي تناولت في البحث والتحليل أوضاع المنطقة،

أتمنى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة المتواضعة.

الباحث

الدكتور/ (محمد نجيب) تركي كايد الدرابسة

ABSTRACT

This study highlights the cultural and social life in Palestine, Syria, and Lebanon during the reign of Sheikh Zhaher Al-Omar Al-Zaidani, which is considered by researchers and historians as important figures in our modern Arab history, for the prominent role he played during his reign from 1689 to 1775, This phase was able to extend the borders of his emirates from Lebanon to Palestine and Jordan to the gates of Damascus, prompting the Ottomans to recognize him and appoint him on these vast areas of Safed to Acre to the east of Jordan and Lebanon The Ottomans during this period to send ongoing military campaigns to eliminate it But to no avail what prompted the Ottomans to recognize it and here some historians attributed to the growing political, military and cultural role has appeared to impact on the cultural and social movement since the beginning of the administration of his rule, where he contributed to the development of this cultural movement and through the establishment of schools and colleges, mosques and libraries and encourage the flag And scientists also worked to provide a suitable climate for this movement and was able to provide the expenses and architectural buildings of these educational establishments despite the political, social and military conditions that the state was going through, and despite the challenges that were facing and hinder the development of Cultural and social movement in the emirate that this movement rebounded and has grown and evolved, for example, contributed to various religious doctrines that existed in Amarath in the cultural movement and the growth of social note that he was able to catch the Ottomans repeated military defeats.

If this research is of little importance, it has gained from being, according to the researcher's knowledge, the first research that speaks or clarifies what can be clarified about aspects of cultural and social life in the emirate. And the impact of information that reflected negatively on the region through the nineteenth and twentieth centuries AD In addition to this there are a number of sources that dealt with the research and analysis of the situation of the region،

الحياة الثقافية في بلاد الشام (لبنان وفلسطين قبيل حكم الشيخ ظاهر العمر الزيداني):

من خلال نظرة مبسطة لواقع الحياة الثقافية والاجتماعية فى بلاد الشام خلال العهد العثمانى نجد ان البلاد كانت تعيش حاله من التاخر والتخلف ودلك رغبه من العثمانين فى ابعاد الوعى والحريه عن سكان بلاد الشام كما تركوا دور العلم والمراكزالتعليميه دون عنايه ورعايه مما ادى دلك انحسار التعليم اما فقد تغيرت الامور بعد ظهور الشيخ ظاهر العمر الزيدانى لدا نجد أن الحركة الثقافية قد ازدهرت إلى حد ما رغم التحديات والحروب والأزمات والحملات المستمرة للعثمانيين على الدولة الزيادنية وذلك للدعم المطلق من قبل الشيخ ظاهر العمرللعلم والعلماء بهذه الحقبة وهذا ما ساعدها على التطور والازدهار حيث كانت للعلماء والأدباء والمثقفين زيارات متكررة إلى أوروبا لنهل الحضارة الأوروبية والاطلاع على التقدم الحضاري عند الأوروبيين كما أن هناك زيارات متكررة للرحالة للأوروبيين[١] للإمارة باستمرار وقد حظيت في بداية حكمه لتطور ونهضة الحركة الثقافية للإمارة حيث جاء الاهتمام با لكتابة التاريخية وتوثيقها باهتمام هؤلاء المؤرخين وأهمها كتب التراجم والرحلات كما ساهمت العلوم الدينية كمصدر من المصادر الثقافية الهامة فى دراسة النواحي الثقافية وأدى هذا

[١] حسن عبد اللطيف الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، ص ٧٢، إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ص ٣١٤، دي فولني، رحلات إلى سوريا، ص ١٠٢، عبد الكريم رافق، فلسطين في العهد العثماني، ص ٦٢.

التطور إلى كثرة المعاهد الثقافية والعلمية[٢] وصروح العلم والمكتبات والزوايا والمساجد في مختلف المناطق الإمارة حيث حصل إقبال شديد من قبل المتعلمين على هذه المراكز التعليمية ونتح عن هذا التطور في هذه الفترة التميز بالخصب الثقافي والنضوج الفكري وغزارة التأليف والتصنيف وبرز هذا بظهور العلماء والأدباء والباحثين بسبب النضوج الفكرى والتعمق فى البحث وتعاون العلماء كما انتشرت المكتبات العامة الخاصة في كل المدن بالإمارة ومن أشهر هذه المكتبات القدس ومكتبة الشيخ محمد الخليلي آنذاك التي يعتبر من أشهر علماء القدس وأعيانها في القرن الثامن عشر كما أن هناك مكتبات عدة في مدن عكا وحيفا وصفد وطرابلس وصيدا وجبل عامر وتبنة وهونين وغيرها لقد لعبت هذه المكتبات دور هام في الحياة السياسية إبان حكم ظاهرالعمر وقد حرصت هذه المكتبات على جمع الكتب وإقتنائها وتصنيفها والمحافظة عليها ولم يكن علماء للإمارة الزيدانية وأعيناها من ذوي الشهرة آنذاك كونه مجرد صوفيين محليين وكانت إسهاماتهم في مجال العلوم الفقهية والدينية ضئيلة نسبياً بحيث لم يصلوا إلى أعيان العلماء وكان ذلك سبباً في عدم ذكرهم من قبل الرحالة المسلمون إلا ما ندر كما اعتمد العلماء أو بعضًا منهم على نقل الأخبار للإمارة عن طريق الآخرين

---

[٢] محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج١، ص ٤، ميخائيل الصباغ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني، ص ١٧، كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ص ١٣، أحمد اشقيرات ، الحركة العلمية في تبنة، جريدة جامعة اليرموك، العدد ١١١، تاريخ ١٩٨٨/٨/١٧.

مثل الأخذ من الأفواه مشافها وبالكتابة إلى من في تلك البلاد التي لم يرها ومن الأمثلة على ذلك أن محمد خليل المرادي يقول: (إذا اجتمع لدي من الرحلات والإثبات والتراجم مع كثرة التنقير والتفحص الكثير والأخذ من الأفواه شفاهاً وبالمكاتبات إلى البلدان التي كنت لست أراها).

كما اطلع المرادي[٣] على ما كتبه الرحالة المسلمين مثل عبد الغني النابلسي وعبد القادر الحفناوي والشيخ محمد الخليلي حيث برز أعداد كبيرة من العلماء والأساتذة آنذاك.

كانت أغزر المناطق علماً في الإمارة الزيدانية فلسطين ولبنان حيث منبراً للعلماء ومن هؤلاء العلماء الشيخ عبد القادر الحفناوي أستاذ الشيخ ظاهر العمر، كما انتعشت اللغة والشعر والأدب والتاريخ وعلم الفقه، والطب والصيدلة مما يدل على ذلك التراث الكبير العلمي الذي كان متوفراً إبان حكم الشيخ الظاهر العمر، وقد احتل الشعر الشعبي الذي يمدح نظام الحكم آنذاك الكم الهائل لا بد لنا أن نذكر أن هناك علماء وباحثين وأعيان برزوا خلال عهد الإمارة وقد تركوا بصمات في البحث بجميع العلوم وأشهر هؤلاء العلماء عبد الحميد الشوبكي وعبد الغفار الشوبكي ومحمد صلاح الدين النابلسي حافظ دين مكية مصطفى الجعفري وعبد الفتاح التميمي وابراهيم

---

[٣] مؤلف مجهول، مختصر تاريخ سوريا ولبنان بقلم أحد الأدباء الياسوعيين، ص ١٠١، ميخائيل الصباغ، تاريخ ظاهر العمر، ص ٥٩. يعقوب معمر المحامي، تاريخ الجليل الخاصة والبلاد السوريه، ص ١١١ ، المرادي محمد خليل، سلك الدرر، ج٣، ص ١٨٣.

الصباغ ومخائيل الصباغ وغيرهم الكثير كما نمت كتب التراجم المؤلفة في القرن الثامن عشر الميلادي كما نرى بوضوح ظاهرة الاتصال الفكري بين العلماء والباحثين والذين تخرجوا من جامع الأزهر والجامع الأموي بدمشق والمسجد الأقصى[٤] في القدس بعد أن تم إجازاتهم في العلم وعرفوا ووصفوا أنهم أعيان أهل الإفادة والتدريس ومن أشهر هؤلاء الشيخ الخليلي وهو من أشهر علماء القدس آنذاك حيث قال عنه حسن عبد اللطيف (توجه لمصر الأنصار أي الشيخ الخليلي فطلب وجد وأخذ عن علماءها الأبرار وزاد به الحال وترقى أرقى مراتب الرجال).

لم تكن دراسةالعلم حكرًااو وقفا على امه من الامم او طائفه بعينها بل هى جهود متضافرة كما ان العلم لم يكن مقتصرا على مسجد بعينه في الإمارة أو غيرهم بل كان الجامع الاموى فى دمشق والجامع الأزهرفى **مصر** و المسجد الاقصى فى القدس مصدر إلهام للراغبين بنهل العلم كما أصبحت صفد وعكا وحيفاوالقدس وتبنه والنبطيه وصيدا مزدهرة علميًا ومن هؤلاء العلماء الذين برزوا في عهد الإمارة الزيدانية، الشيخ محمد أفندي الواني وعبد الله الشرابى وسليمان صوان وشناعه فريح وغيرهم الكثير.

---

[٤] حسن عبد اللطيف الحسيني، مصدر سابق، ص ١٤٦، يحيى بن أبي الصفا، المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، ص ١٤. محمد عرابى نحله المجتمع الفلسطينىابان العهد العثمانى ص ١٩، نوفل الطرابلسى كشف اللثام ص٦٨، النمر احسان تاريخ جبل نابلس والبلقاءج٣ ص٣٠٤.

كما ازدهرت الحركة التعليمية في لبنان في منطقة جبل عامل والشوف وصيدا وبيروت وهذه المناطق كانت تابعة في الإمارة الزيدانية وقد برز من هؤلاء العلماء في هذه المناطق عبد الكريم مصطفى الحموي والشيخ حسن بن يحيى الطرابلسي، والشيخ محمد جابر آل الصفا في منطقة جبل عامل[٥]. وغيرهم الكثير من هولاء العلماء الدين ساهموا بجهودهم للارتقاء يالعلم والتعليم فى هدة المرحله امامن

حيث منطقه جبل عامل كانت طائفة الشيعة المسلمين متعاطفة وموالية للشيخ ظاهر العمر، مما جعل المنطقة تتوافربها بيئة ملائمة لنهل العلم كما أن ظاهر العمر قد نشر بها بعض صروح العلم مثل المساجد ومدارس ومكتبات والمعاهد ومراكز حفظ القرآن ووضع لها إنفاق دائمه وكما جاء في كتاب محمد جابر آل الصفا ... (إن القطر العاملي كان في طليعة الأقطار السورية من حيث الشهرة العلمية، وقد أحرز في هذا الشأن شوطًا بعيداً لا يدانيه قطر آخر، لاسيما في القرون الأخيرة إذ كان مثابة للرحلة العلمية من الآفاق، ومركزًا مهمًا من مراكز التدريس الكبرى، يؤمه الطلاب من كل فوج وصوب، ولم تنقطع فيه مدد العلم، ولا خبا نوره إلا في حقب قصيرة كانت تعقب الحروب والفتن التي يرافقها التدمير والخراب وإقفال

---

[٥] محمد جابر آل الصفا، تاريخ جبل عامل، ص ٢٣٢، محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ط١، ص ٣١، محسن الأمين، خطط جبل عامل تحقيق حسن الأمين، ص ١٨٣، ميخائيل الصباغ، تاريخ ظاهر العمر، ص ٦٢. احمد سامح الخالدى اهل العلم والحكم فى الريف الفلسطيني، ص ٣٦.

المدارس وتعطيل معاهد التدريس) ومن هنا لا بد للتوضيح بأن مجيئ الشيخ ظاهر العمر للحكم في الإمارة الزيدانية قد أسهم إسهاماً مباشراً لدفع حركة العلم والتعليم في منطقة جبل عامل إلى الأمام من خلال احتضان المدارس وتقديم الدعم للعاملين وتفقدها باستمرار وتوفير النفقات المادية لكن من أهم المتاعب والتحديات التي تواجه المنطقة عدم وجود مكتبات عمومية لأن معظم المكتبات الموجودة كانت خاصة[٦]. وكانت الكتب في هذه المكتبات يتم استعارتها ومن أشهر المكتبات العاملة في جبل عامل، مكتبة الشيخ عبد الله نعمة فقد كانت مليئة بالمخطوطات النادرة، ومكتبة آل الحر، في جبع، جبل عامل، ومكتبة آل السبتي، في كفرا ، ومكتبة أحمد الرضافي في النبطية، حيث تميزت هذه المكتبة بالترتيب والفهرس كما أنها تضم مخطوطات نادرة وأيضاً من المكتبات الهامة، مكتبة الشيخ سليمان ظاهر في النبطية[٧] التي حوت على كتب نادرة جدًا وأثرية تخص منطقة جبل عامل.

كما ازدهرت الحياة الثقافية في جبل لبنان ذات الأغلبية المسيحية من تطور الحركة الثقافية والاجتماعية، إبان حكم الشيخ ظاهر العمر، حيث نمت بشكلٍ مميز وذلك لتوافر الأمن والاستقرار في هذه المنطقة والرغبة في نهل

---

(٦) عبد المجيد الحر معالم الأدب العاملي من القرن الرابع الهجري – القرن الثامن عشر الميلادي، ط١، ص ١٥٣، محمد جابر الصفا، تاريخ جبل عامل، ط١، ص ٢٣٣، ميخائيل الصباغ ، تاريخ ظاهر العمر، ص٩١

(٧) حسن عبد اللطيف الحسيني مصدر سابق، ص ٨٩، اغناطيوس يوليا كراتشكوفكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، ج١، ص ٧٥٣. P. K. Hititi. A Shrot History of Lebanon, London.

العلم وخاصة من أوروبا حيث تعاظم دور هذه المنطقة الثقافي لكثرة الباحثين والعلماء والكتاب بها، كما أن توفر المادة السياسية والدينية وبيئة الحرية، شجع على الكتابة والدفاع عن حرية الكاتب، حيث جاء غالبية المؤرخين العلماء والباحثين من الكهنة والرهبان الذين تلقوا تعليمهم في المدارس اللاهوتية في روما وباريس وفي مثل هذا الاتجاه الديني والسياسي برز هؤلاء العلماء والمؤرخين أمثال اسطفان الدويهي الذي ألف كتاب تاريخ الأزمنة الذي يتضمن تفاصيل البحث التاريخي الحديث[٨] . وكنتيجة طبيعية لتطور الأحداث الثقافية والاجتماعية في الإمارة الزيدانية في القرن السابع والثامن عشر الميلاديين ظهرت طبقة جديدة من المثقفين دخلت في البناء الثقافي الجديد كان لديها القدرة على الكتابة والتأريخ وأغلب هؤلاء كانوا ينتمون لعائلات ميسورة متعلمة وعلمانية علما بأنهم تعلموا في المدارس التبشيرية وفي الأديرة ومراكز الإشعاع الحضاري حيث تعلموا ونهلوا العلم على أساتذة مسلمين وخاصة اللغة العربية وقد أخذوا على عاتقهم تدوين تأريخ الأسر الإقطاعية في لبنا ن وشمال فلسطين وسوريا.

لم يستطع الشيخ ظاهر العمر المحافظة على علاقات طبية مع الحكومة العثمانية كي تبقى الحركة ثقافية واجتماعية مزدهرة ومتطورة ورغم انتظامه في الدفع الضرائب في مواعيدها والعمل على أن يظل عاملاً

---

[٨] حسن عبد اللطيف الحسيني مصدر سابق، ص ٨٩، اغناطيوس يوليا كراتشكوفكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، ج١، ص ٧٥٣. P. K. Hititi. A Shrot History of Lebanon, London

لا غنى في سيطرتهم على بلاد الشام بل كان يتمرد عليهم بين الحين والآخر فيقوم بمناورات عديدة مثل السيطرة على مناطق جديدة تابعة للعثمانيين مما أسهم بشكل وآخر على بالإعداد الحملات العسكرية المتوانية على الإمارة مما كان يبطئ من تطور الحركة الثقافية والاجتماعية[٩].

لقد تضررت الإمارة الزيدانية كثيراً من الناحية الثقافية نتيجة استمرار الحروب والغزوات وحدوث القلائق والاضطرابات التي كان يفتعلها العثمانيين في بلاد الشام في الانتقام من الشيخ ظاهر العمر مما أدى إلى فقدان العديد من المدارس بسبب الهجمات المستمرة على مناطق الإمارة مما دفع بالعلماء المثقفين والطلبة إلى الهروب أحياناً إلى المناطق أكثر أمناً لينهلوا من فروع المعرفة ومنهم من لم يعود للإمارة مما أدى ذلك إلى ارتفاع نسبة العلماء المسافرين إلى الخارج[١٠].

بالرغم من أن الظروف السياسية العسكرية الصعبة في الإمارة وبالرغم من الحملات المستمرة والحروب لم يمنع ذلك من بروز عدد من العلماء الذين اشتهروا في الفقه والقضاء مثل الشيخ محمد بن بدير بن محمد المشهور ابن حبيش القدسي، الشيخ حسن بن الخالدي (١٧٣٨- ١٧٩٦) وقد

---

[٩] حسن عبد اللطيف الحسيني مصدر سابق، ص ٨٩ ناطيوس يوليا كراتشكوفكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، ج١، ص ٧٥٣. P. K. Hititi. A Shrot History of Lebanon, London

[١٠] عبد الكريم رافق، فلسطين في العهد العثماني، الموسوعة الفلسطينية، ط١، ص ٨٠١ ، حسن الحسيني، مصدر سابق ، ص ٤٠٠، ميخائيل الصباغ، تاريخ ظاهر العمر، ص ١١٣

اشتهروا بالفقه والقضاء والأدب وهناك من برز بالقضاء وخاصة مجالس القضاء في عهد الإمارة محمد أفندي أبو السعود (١٨٣٥-١٨٩٣) وهناك الشيخ عثمان الغوش الذي تميز بالافتاء كان شيخ مشايخ الطرق الصوفية والقادرية [١١].

وعلى الرغم من اهتمامات السياسية والعسكرية على حساب الجوانب الحضارية الأخرى بأننا نجد بأن أهم معلم ثقافي قام الشيخ ظاهر بناء جامع كبير ويعد آية من آيات الجمال وقد أسماه باسمه وهو من أهم المظاهر المعمارية في العهد العثماني ابداعًا في منطقة بلاد الشام وهو المسجد الظاهري في صفد العاصمة الأولى للدولة الزيدانية حيث ألحق بهذا المسجد مدارس لتدريس العلوم الشرعية والفقهية ومراكز لتحفيظ القرآن الكريم كما ضم إليه مكتبة ضخمة سميت بالمكتبة الظاهرية نسبة إلى ظاهر العمر الزيداني كما وجدت في صفد مكتبة الظاهر بيبرس وهي من أكبر المكتبات من حيث احتوائها على أعداد كبيرة من الكتب والمقتنيات كما أنشأ ظاهر العمر عدة مساجد ومراكز دينية أخرى انتشرت على كل مناطق الإمارة من تبنة شرقًا حتى بيروت شمالاً كما قام بإنشاء العديد من المكتبات لأهميتها فى نشر العلم والثقافة مثل مكتبة عكا، حيفا، يافا، طبريا، الناصرة، القدس، نابلس، تبنة، صيدا، عجلون، جبل عامل، صور، بيروت، كما أبدا الشيخ ظاهر العمر اهتماماً كبيراً بإمارته حيث قام ببناء حيفا الجديدة وعكا الجديدة

---

[١١] عادل مناع ، أعلام فلسطين في العهد العثماني، ط ١، ص٣٧، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ج ٢، ص ٢٤٥.

كعاصمة لدولته كما أنشأ العديد من الحصون المعمارية والأسواق والحمامات والفنادق والاسوار والأسواق كما أنشأ سبل المياه لسد حاجة الناس مياه الشرب وأقام القناطر والأقنية وعمل على تنقية البيئة ومصادر مياه الشرب(١٢).

على الرغم من محاولة العثمانيين المتكررة وهجماتهم العسكرية على الإمارة وإحداث الفرقة والشقاق بين ظاهر العمر ومناوئه إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور بعض المظاهر الثقافية والاجتماعية في لبنان شأن شأن باقي المناطق في الإمارة الزيدانية ويأتي ذلك بسبب تدخل بعض رجال الدين المسيحي الأوروبيين في شؤون الطوائف المسيحية المارونية في الإمارة حيث أدخلوا إلى لبنان وسوريا وفلسطين بعض الأساليب الثقافية المطابع وغيرها التي تخدم الثقافة والعلم لأمور تخدم أهداف التبشير للدين المسيحي علما بان الشيخ ظاهر العمر كانت تربطه علاقات طيبة جدًا بالمسيحيين حتى يذكر بعض المؤرخين أن طاقم الإدارة في الحكم بالإمارة الزيدانية كان معظمهم من المسيحين الأمر الذي يسر عمل الإرساليات التبشيرية في الإمارة وخاصة لبنان وسوريا (١٣).

---

(١٢) متي سمعان وآخرون، عكا، تراث وذكريات، ط١، ص ٢٣، أحمد اشقيرات، الحركة العلمية في تبنة، جريدة اليرموك، العدد ١١١، تاريخ ١٩٨٨/٨/١٧، ص ٣، نبيل خالد اغا، مدائن فلسطين دراسات ومشاهدات، ط١، ص ٢٠٦.

(١٣) أسامة أبو نحل، أحمد باشا الجسار، إداراته علاقاته السياسية والاقتصادية بالقوى الإقليمية والدولية، ص ١٠٦. روفائيل كرامة مصادر تاريخية للحوادث سوريا

وعلى الرغم من ذلك أن هناك دوافع وعوامل لعبت دوراً هامًا في تباطؤ الحركة الثقافية والإجتماعية في الإمارة من هذه الدوافع عدم استقرار الظروف السياسية العسكرية في الإمارة وانشغال الشيخ ظاهر العمر في مددٍ طويلة من الحروب والصراعات الداخلية والمنافسة بينه وبين العثمانيين ومحاولته الاستقلال الكامل عن الدولة العثمانية كما أن ازدياد وكثرة الاضطرابات والفوضى السياسية في بعض مناطق الإمارة مثل جبل لبنان منطقة شمال فلسطين منطقة هضبة الجولان، ساعد إلى حد ما إلى تباطؤ الحركة الثقافة في الإمارة وذلك نتيجة تصادم المصالح بين ظاهر العمر وبين العثمانيين أما المتاولة في جبل عامل لقد حافظوا على علاقة متينة مع الشيخ ظاهر العمر وذلك لتأييده الدائم لهم رغم أنهم كانوا منقسمين على أنفسهم بين مؤيدٍ له ومناوئ إلا أن الظروف السياسية فرضت عليهم نتيجة تعاظم قوته العسكرية مما أدى إلى مصاهرته لهم وحيث سهلوا عليه اجتياح المنطقة بسهولة وضمها لإمارته وقد عمل ظاهر العمر على إنشاء المدارس والمراكز العلم وتشجيعه لهم للدراسة في أن يحظوا بمكانة ومنزلة رفيعة بجانبي العلمي حيث اشتهرت منطقتهم بتميزها بالثقافة العامة[١٤].

ولبنا، ص ٤١، توفيق معمر المحامي، تاريخ الجليل والبلاد السورية العامة، ص ١٤١.

[١٤] محمد جابر آل الصفان مصدر سابق، ص ١٤٠، أسامة أبو نحل، مصدر سابق، ص ١١٢، قسطنطين بازيلي، سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص ٧٢، روفائيل كرامة مصادر تاريخية للحوادث سوريا ولبنا، ص ٤٢.

أما فى الجانب الاجتماعى فقد كان للمراة جانب مميز خلال الحكم الشيخ ظاهر العمر الزيداني حيث تبوأت المرأة مكانة مميزة وحظيت احترام الجميع ونالت حظها في الوظائف والمراكز التي تبوأت بها خلال مدة حكم الشيخ ظاهر العمر حيث أمر بالتحاقها بالمراكز العلم والمدارس والمعاهد العلمية ليعطيها حقها بالمشاركة بحمل المسؤولية كما نالت احترام وتقدير وحسن معاملة وحقها في الميراث إبان حكم الشيخ ظاهر العمر الزيداني كما حظيت بجانب وفير من المظاهر الحضارية حيث استطاعت أن تساهم في بناء الإمارة الناشئة والتي تتميز بالمساواة والعدل والأمن والاستقرار. أما دورها في العلم فلم يتخطى مجال التعليم والقضاء والصحة والإدارة حيث تميزت الإدارة في العهد الزيداني في الإدارة الحديثة، ولقد كان تطور الحياة الثقافية أثر بالغ في توافر عدد هائل من كليات العلمية التي تدرس المجالات العلمية الطب والصيدلة وغيرها مما استطاعت أن تحقق من نتائج كبير على المستوى المنطقة وبدأت عمليات المقارنة إبان العهد العثماني وما وصلت إليه الحال خلال العهد الزيداني.

وكان للتأثير الثقافي واضحاً إبان حكم الشيخ ظاهر العمر في منطقة أكثر منها بأخرى على سبيل المثال فلسطين أكثر منطقة مؤثرة وخلال عملية الإحصاء التي قام بها الفرنسيون في هذة المناطق حيث قام العلماء الفرنسيين برسم خريطة للساحل الفلسطيني ظهرت عليها جميع المدن والقرى الفلسطينية التي ساهمت فى نقل هدة المعلومات الى فرنسا التسهم فى الحملة

الفرنسية عام ١٧٩٩ وتعتبر الخريطة الأولى من نوعها جغرافياً بالنسبة لفلسطين إذ كانت دقيقة جدًا [١٥].

كما كان دور رحالة الأوروبيين مؤثراً وفعالاً في تحديد الأطر الثقافية والاجتماعية خلال القرن الثامن عشر وقد دفعتهم روح المغامرة للاستكشاف حياة الشرق لتحقيق أهداف معينة مثل حب الاستطلاع ومن أشهر هؤلاء الرحالة الفرنسي الشهير: فرانسوا فولني C.F.Volney والإنكليزي جيمس براون Games Browne من بين أشهر الرحالة الذين زاروا المنطقة آنذاك، إذ زار فولني فلسطين وبلاد الشام في ثمانينيات القرن الثامن عشر، إذ قام كل منهما بتدوين مشاهداته في هذه البلدان في كتاب جزأين، وكان الكتاب بعنوان: رحلات في سوريا ومصر Vol / age en syrie et Egypt واستفادت الحكومة الفرنسية كثيراً مما أورده فولني في كتابه من مشاهدات، لاسيما قائدها الشهيرنابليون بونابرت ولم يمض وقت طويل حتى حيت قام بحملته المشهورة على بلاد الشام نابليون قام بحملته على مص عام ١٧٩٨م، وفلسطين عام ١٧٩٩م[١٦].

وقد أبدى فولني في كتاباته ومشاهداته اهتماماً واضحاً بذكر عادات السكان الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية وسلوكهم الأخلاقي، ورصد الظواهر

---

[١٥] أليكس كرمل، تاريخ حيفا في عهد الأتراك، ص ٩٦، بي سي جيرار الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ط١، ص٢٨٦.

[١٦] K. Armstrong, Jerusalem. One City, Vol. 3, New York, 1996, P. 346. ب. س جيرار، الحياة الاقتصادي في مصر في القرن الثامن عشر (من مجموعة وصف مصر ج١)، المصدر السابق، ص ٢٩٠- ٢٩١

السياسية للمنطقة لاسيما في بلاد الشام بعد القضاء على حكم الشيخ ظاهر العمر، وتولى أحمد باشا الجزار الحكم، فوصفه بالحاكم المستبد[١٧]، ولم يكتف فولني بذلك فعنى بالخريطة السكاني لفلسطين مبيناً عناية السكان بالسكن في القرى والمناطق الجبلية، لاسيما ما بين بحيرتي الحولة وطبريا، وما تشتهر به من خصومة التربة وكثرة المياه، فضلاً عن بعدها عن دمشق مما جعل هؤلاء السكان بعيدين عن سطوة ولاة دمشق، وشجع بعض السكان الآخرين على القدوم والسكن فيها[١٨]. كما بيّن فولني أهمية مدينة القدس بوصفها مدينة دينية وثقافية تجمع عدداً من علماء الدين بين جنباتها، وقام بوصفها وقدر عدد سكانهااندالك بين (١٢٠٠٠ – ١٤٠٠٠) ألف نسمة، وتحدث عن صناعتها لاسيما الأدوات التذكارية الدينية التي يصدر جانب منها إلى الخارج، وأوضح مصادر دخلها لاسيما تلك المتعلقة بما ينفقه الحجاج المسيحيون فيها عيد الفصح[١٩].اما الرحاله جيمس براون فقد الف كتاب وصف فيه المدن فى الامارة الزيدانيه بعنوان رحلات فى افريقيا

---

(17) K. Armstrong, Jerusalem. One City, Vol. 3, New York, 1996, P. 346.

(١٨) C.F. Volney,Voyage en Syria et en Egpty. Tome II, paris, p 333
محمد يونس الحسينى التطور الاجتماعى والاقتصادى ص١٢٠ عثمان العامرى التطور الاجتماعى فى فلسطين خلال العهد العثمانى ص٥٩

(١٩) Ibid.pp. 334- 338 اسعد منصورتاريخ الناصرة ص٤٨ طنوس الشدياق اخبار الاعيان ج١٦٨ مخائيل بريك تاريخ الشام ٧٠ خالد صافى ظاهر العمر الزيدانى، ص٤٤.

ومصروسوريا وقد تضمن كتابه وصفاا دقيقاا لهدة المدن والقرى التـــى قـــام بزيارتها وصفا دقيقا ينم عن مستواة المتقدم فى وصف مشاهداته وتحليلهـــا بما يخدم مصالح الاستعمار وظهر دلك اثناء حديثه عن الاقليات والطوائـــف فى العهد العثمانى

الخاتمة

١. لقد القى هدا البحث الضوء على الحياة الثقافيه خلال عهد الشيخ ظاهر العمر الزيدانى واظهر باختصار التقدم والتطور فى الحياة الثقافيه والاجتماعيه ودعمه المتواصل وما وصلت إليه.

٢. الاهتمام الكبير من جانب ظاهر العمر بالعلم والعلماء وتشجيعه لطلبه العلم وقيامه ببناء المدارس ودور العلم والمعاهد العلمية والدينية.

٣. ادى استمرار الحملات العسكرية العثمانيه الىنكسات وتباطوء فى الجركه الثقافيه لما لهدة الحملات العسكريه من اثر بالغ في تدمير الأبنية التعليمية والمؤسسات ودور العلم.

٤. تطور الحركة الثقافية والاجتماعية استفاد منه الأوروبيين وفيما بعد حدث الاستعمار الحديث ممثلا بالحملة الفرنسية.

٥. حظيت المرأة باهتمام ظاهر العمر ونالت حضها فى التعليم والوظائف واصبحت تنال كامل حقوقها .

المصادر

١. ابراهيم الدنفي، ظاهر العمر وحكام جبل نابلس ١٧٧١-١٧٧٣ ، تحقيق موسى ابو دية، مركز التوثيق.

٢. أحمد حسن جوده، حركة الشيخ ظاهر العمر الزيداني، حاكم عكا والجليل، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين ١٩٨٤.

٣. أسامة أبو النحل، أحمد باشا الجزار: إدارته وعلاقاته السياسية والاقتصادية بالقوى الاقليمية والدولية، الخرطوم، ٢٠٠١.

٤. حسن عبد اللطيف الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، دراسة وتحقيق وتقديم، سلامه صالح النعيمات، عمان، ١٩٨٥.

٥. سليم عرفات المبيض، غزة وقطاعها، القاهرة، ١٩٨٧.

٦. عادل مناع، أعلام فلسطين في اواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨)، ط١، بيروت ١٩٩٥.

٧. عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيين – الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج٢، الدراسة التأريخية، ط١، بيروت ١٩٩٠.

٨. عبد المجيد الحر، معالم الأدب العاملي من بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ط١، بيروت، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢).

٩. متي سمعان واخرون، عكا، تراث وذكريات، ط١، بيروت، ١٩٩٢.

١٠. ١مولف مجهول، مختصر تاريخ سورية ولبنان تعلم أحد الاباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٤.

١١-محسن الامين خطط جبل عامل،تحقيق واخراج: حسن الأمين، ط١، بيروت،١٩٨٣م

١٢ -محمد جابر ال الصفا تاريخ جبل عامل، ط٢ ،بيروت، ١٩٨١ .

١٣-محمد خليل المرادي،سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج١، القاهرة، ١٣٠١ ه.

١٤- ميخائيل بريك ،تاريخ الشام من ١٧٢٠-١٧٨٢م، تحقيق أحمد سباتو، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ١٩٨٢م.

١٥- ميخائيل الصباغ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني، نشر وتعليق: قسطنطين الباشا المخلصي، حريصا، ١٩٣٥م.

١٦- ميخائيل مشاقة ،مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، القاهرة، ١٩٠٨م.

١٧- منصور أسعد، تاريخ الناصرة، دار الهلال، القاهرة مصر، ١٩٢٣م.

١٨-نبيل الاغا ، مدائن فلسطين، دراسات ومشاهدات، ط١ ،بيروت لبنان، ١٩٩٣م.

١٩-هيئة الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ج٢، ط١، دمشق سوريا، ١٩٨٤م.

٢٠- يحيى بن ابي الصفا بن احمد بن محاسن، المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، دراسة وتحقيق : محمد عدنان البخيت، ط١، بيروت لبنان، ١٩٨١م.

المصادر الاجنبية المترجمة:

١- اغناطيوس يوليانوفيتش تراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان ، ج١ ، القاهرة مصر، ١٩٦٥م.

٢- الكس كرمل، تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين، ترجمة تيسير الياس ، تقديم بطرس ابو منه، حيفا فلسطين، ١٩٧٩م.

٣- ب. س. جيرار ، الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر (من مجموعة وصف مصر) ، ج١، ط١، ترجمة زهير الشايب، القاهرة مصر ، ١٩٧٨م.

٤- بشلرة دوماني، اعادة اكتشاف فلسطين. أهالي جبل نابلس من ١٧٠٠م-١٩٠٠م، ترجمة حسني زينة ، ط١، بيروت لبنان، ١٩٩٨م.

٥- قسطنطين بازيلي، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة كمال معصراني، دار التقدم موسكو روسيا، ١٩٨٩م.

المصادر الأجنبية غير المترجمة:

1- A. Cohen , Palestine in the 18th Century, Jerusalem, 1973.
2- C.F. Volney, Voyage en Syria et en Egypt, Tome II , Paris ,1907.
3- K. Armstrong, Jerusalem .One City, Vol. 3, New York, 1996.
4- P.K. Hitti , A Short History of Lebanon , London , 1965.
5- P.K. Hitti, Syria A Short History, London , 1959.
6- R. Mahler, A History of Modern Jewry 1780-1815, London 1971.
7- R.T. Minler, Turkish Empire: the Sultans, the Terri Tory and the People ,London ,1964.
8- W.G. Browne, Travels in Africa, Egypt and Syria ,from the year 1792-1798, London ,1799.

شبكة المعلومات الدولية(الانترنت):

- http:// www.4uarab.com/vb1showthread.php?T=52798.